



شمس الرسالة المحمدية

ملخص الخطبة

- ١- النعمة العظمى. ٢- الرحمة المهداة. ٣- أثر الإسلام في البشرية. ٤- المدنية الإسلامية. ٥- أساس الدعوة إلى الله تعالى. ٦- حرية الدعوة لعقيدة الإسلام. ٧- التحذير من ردود الأفعال.

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واتقوا يوماً تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون، لئن تَتَابَعَتِ النَّعْمَ وَتَرَادَفَتِ الْمِنَّةَ وَتَكَاثَرَتِ الْآلَاءُ فَكَانَتْ غِيئًا مِدْرَارًا لَا يَنْقُطُ هُطُولُهُ وَفِيضًا غَامِرًا لَا يَتَوَقَّفُ تَدْفِقه، عَطَاءً كَرِيمًا مِنْ رَبِّنَا الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَتَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَإِحْسَانًا مِنْهُ بِغَيْرِ اسْتِكْرَاهٍ؛ إِذْ لَا مَسْتَكْرَهَ لَهُ سِبْحَانَهُ، فَإِنَّ النِّعْمَةَ الْكَبِيرَى الَّتِي لَا تَعْدِلُهَا نِعْمَةٌ وَالْمِنَّةَ الْعَظْمَى الَّتِي لَا تَفْضُلُهَا مِنَّةٌ بَعَثَهُ هَذَا النَّبِيُّ الْكَرِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِالْهَدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ بِرِسَالَتِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَلِيَهْدِيَهُمْ بِهِ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيَضَعَ عَنْهُمْ الْأَصَارَ وَالْأَغْلَالَ، وَلِيَسْمُوَ بِهِمْ إِلَى ذُرَى الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَيُنَائِيَ بِهِمْ عَنِ مَهَابِطِ الشَّرِّ وَحِمَاةِ الرَّذِيلَةِ، وَلِيَسْلُكَ بِهِمْ كُلَّ سَبِيلٍ يَبْلُغُهُمْ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ؛ وَإِذَا كَانَتْ بَعَثُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ كَافَّةً وَنِعْمَةً عَلَى الْبَشَرِ قَاطِبَةً كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ سِبْحَانَهُ فِي أَصْدَقِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧]، فَكَانَتْ رِسَالَتُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ جَمِيعًا، عَرَبِيَّهُمْ وَأَعْجَمِيَّهُمْ، أَسْوَدَهُمْ وَأَبْيَضَهُمْ، ذَكَرَهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، إِنْسِهِمْ وَجَانَّهُمْ؛ إِذْ جَاءَهُمْ. كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ. بِهَذَا الْإِيمَانِ الْوَاسِعِ الْعَمِيقِ وَالتَّعْلِيمِ النَّبَوِيِّ الْمُتَقَنِّ بِهَذِهِ التَّرْبِيَةِ الْحَكِيمَةِ الدَّقِيقَةِ وَبشخصيته الفذة وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز الذي لا تتقضي عجائبه ولا تخلق جدته، فبعث عليه الصلاة والسلام بالإنسانية المحتضرة حياة جديدة حين عمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناها ولا يعرف محلها، وقد أضععتها الجاهلية والكفر والإخلاق إلى الأرض، فأوجد فيها. بإذن الله. الإيمان والعقيدة، وبث فيها الروح الجديدة، وأثار من دفانيتها وأشعل مواهبها، ثم وضع كل واحد في محله، فكأنما خلق له، كأنما كان جمادًا فتحول جسمًا ناميًا وإنسانًا متصرفًا، وكأنما كان ميتًا لا يتحرك فعاد حيًا يملئ على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدًا بصيرًا يقود الأمم، أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون [الأنعام: ١٢٢].



عَدَ إِلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الضَّائِعَةَ وَإِلَى أَنْاسٍ مِنْ غَيْرِهَا فَمَا لَبِثَ الْعَالَمُ أَنْ رَأَى مِنْهُمْ نَوَابِغَ كَانُوا مِنْ عَجَائِبِ الدَّهْرِ وَسَوَانِحِ التَّارِيخِ، فَأَصْبَحَ عَمْرُ الَّذِي كَانَ يَرعى الْإِبِلَ لِأَبِيهِ الْخَطَّابِ وَيَنْهَرُهُ وَكَانَ مِنْ أَوْسَاطِ قُرَيْشٍ جَلَادَةً وَصِرَامَةً وَلَا يَتَّبِعُ مِنْهَا الْمَكَانَةَ الْعُلْيَا وَلَا يَحْسَبُ لَهُ أَقْرَانَهُ حِسَابًا كَبِيرًا، إِذَا بِهِ يَفْجَأُ الْعَالَمَ بِعَبْقَرِيَّتِهِ وَعِصَامِيَّتِهِ، وَيَدْحَرُ كَسْرَى وَقِيصَرَ عَنْ عَرُوشِهِمَا، وَيُؤَسِّسُ دَوْلَةَ إِسْلَامِيَّةً تَجْمَعُ بَيْنَ مَمْتَلِكَاتِهِمَا، وَتَفُوقُهُمَا فِي الْإِدَارَةِ وَحُسْنِ النِّظَامِ، فَضْلًا عَنِ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى وَالْعَدْلِ الَّذِي لَا يَزَالُ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ.

وهذا ابن الوليد كان أحد فرسان قريش الشبان، انحصرت كفاءته الحربية في نطاق محلي ضيق، يستعين به رؤساء قريش في المعارك القبلية، فينال ثقتهم وثناءهم، ولم يحرز الشهرة الفاتكة في نواحي الجزيرة، إذ به يلمع سيفاً إلهياً لا يقوم له شيء إلا حصده، وينزل كصاعقة على الروم، ويترك ذكراً خالداً في التاريخ كرمز متجسد للعبقرية الإسلامية العسكرية. وهذا بلال الحبشي يبلغ فضله وصلاحه مبلغاً يلقبه فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالسيّد.

وهذا سالم مولى أبي حذيفة يرى فيه عمر موضعاً للخلافة فيقول: (لو كان سالم حياً لاستخلفته). وهذا علي بن أبي طالب وعائشة وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن العباس ومعاذ بن جبل رضوان الله عليهم قد أصبحوا في أحضان النبي الأمي من علماء العالم، يتفجّر العلم من جوانبهم، وتنطق الحكمة على لسانهم، أبرّ الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً، يتكلمون فينصت الزمان، ويخطبون فيسجل قلم التاريخ.

ثم لا يلبث العالم المتمدّن أن يرى من هذه المواد الخام المبعثرة التي استهانت بقيمتها الأمم المعاصرة وسخرت منها البلاد المجاورة، لم يلبث أن يرى منها كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أحسن منها اثراً، كأنها حلقة مفرغة لا يعرف طرفها، أو كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره. هي كتلة فيها الكفاية التامة من كل ناحية من نواحي الإنسانية، كانت بفضل التربية الدينية المستمرة وبفضل الدعوة الإسلامية التي لا تزال سائرة مائة لا تتقطع ومعيناً لا ينضب، لا تزال تُسند الحكومة برجال يرجحون جانب الهداية على جانب الجباية، ولا يزالون يجمعون بين الصلاح والكفاية، وهنا ظهرت المدنية الإسلامية بمظهرها الصحيح، وتجلت الحياة الدينية بخصائصها التي لم تتوفر في عهد من عهود التاريخ البشري. لقد وضع محمد مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية، فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب، أصاب الجاهلية في مقتلها وصميمها، فأصمى رميته وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينحو نحواً جديداً ويفتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ. انتهى كلامه رحمه الله.

عباد الله، لقد كان التوفيق العظيم والنجاح الباهر خليف النبي في بناء المجتمع المسلم وإقامة الدولة



الإسلامية، وكذلك الأمر في إرسائه قواعد العلاقات مع غير المسلمين وفي منهج التعامل معهم في كافة الأحوال، فمع كون الإسلام رسالة عالمية ودعوة ربانية للبشرية قاطبة لا تختص بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان ولا بقوم دون آخرين كما قال عزر اسمه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [سبأ: ٢٨]، فإن الدعوة إليه قائمة على الحب والاختيار والافتتاح الناشئ عن الحجة والبرهان والبلاغ المبين، بعيداً عن القهر والإكراه والتخويف؛ ولذا كان قوله عز من قائل: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي [البقرة: ٢٥٦] من أظهر أسس الدعوة وأعظمها دلالة على ذلك. وقد جاءت هذه القاعدة القرآنية العظيمة في صيغة نفي يُراد به النهي، فهو نفي لجنس الإكراه للدلالة على استبعاده بالكليّة، ولبيان أنه لا يستقيم أبداً ولا يصح وجوده في دين الله الإسلام، فجمعت الآية الكريمة بهذا بين النفي لجنس الإكراه وبين النهي عن مُرأولته والعمل به، وذلك أبلغ في البيان وأكد في الدلالة وأدعى إلى كمال الامتثال، وفي هذا من صيانة حرية الاعتقاد ما لا مزيد عليه، قال العلامة الحافظ ابن كثير في التعليق على هذه الآية ويسط مدلولها: "أي: لا تُكروهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي، ودلائله وبراهينه لا تحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في دين الله مُكرهاً مقسوراً"، وقال بعض أهل العلم بالتفسير في قوله سبحانه: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [يونس: ٩٩]: "أي: لو شاء لفسرهم على الإيمان، ولكن لم يفعل وبنى أمر الإيمان على الاختيار".

وكما أن حرية الاعتقاد . يا عباد الله . حق مشروع في الإسلام لا يجوز سلبه ولا التعدي على حماه فكذلك حرية الدعوة للعقيدة، وكذلك الأمن من الأذى والفتنة في الدين حق آخر يجب مراعاته وعدم الإخلال به، وإلا أضحت هذه الحرية اسماً لا مدلول له في واقع الحياة؛ ولذا شرع الجهاد في سبيل الله حمايةً لحق حرية الدعوة وإزالة الحواجز من أمامها، ولم يُشرع أبداً لظلم الناس أو إكراههم على اعتناق الإسلام، بل إن المسلمين لم يقع منهم استغلال لفقير الناس وحاجتهم لدعوتهم إلى الإسلام لقاء تقديم العون لهم ومسح البؤس عن جبينهم، فلم يميزوا على مدى تاريخهم بين مسلم وغيره في مجال تقديم العون ورفع كابوس المحن عن كواهل من نزلت به، أفيصح القول إذاً بأن الإسلام انتشر في أرجاء العالم بالعنف والإكراه بحدّ السيف؟! إنها مقولة متهافنة، بل باطلة بيّنة البطلان، لا سند لها من نصوص وقواعد الدين ولا من تاريخه المشرق الوضاء، فكم من أمم دخل أبنائها في دين الله طوعاً وتأتراً بمن نزل بلادهم من خيار المسلمين للتجارة وغيرها، وهؤلاء الذين يدخلون اليوم في دين الله أفواجا في مشارق الأرض ومغاربها في مختلف البلاد أفيحملهم على ذلك سيفٌ أو إكراه؟! وهل تستقيم هذه المقولة الجائرة وأمثالها مع مبادئ وثقافة الحوار والتعايش واحترام الآخر، أم أنها تصبّ



على النار وَقودًا جديدًا؟!!

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَالزَّمُوا جَانِبَ الْعَدْلِ فِي كُلِّ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَاسْتَجِيبُوا لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَكَ بِقَوْلِهِ:
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلنَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المائدة: ٨].
نَعْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهِدِي كِتَابِهِ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
الْمَبْدِيُّ الْعَمِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ
مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.
أَمَّا بَعْدُ: فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ حَسْنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ وَقُوَّةَ الثَّبَاتِ فِي النُّوَابِثِ وَكفَّ النَّفْسِ عَنْ مَقَابِلَةِ
الظُّلْمِ بِمِثْلِهِ وَتَقْدِيمَ الْمَشُورَةِ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ عَمَلٍ لَا سِيْمَا مَا تَعْظُمُ أَهْمِيَّتُهُ وَتَتَّسِعُ أْبْعَادُهُ وَتَخْشَىٰ عَاقِبَتَهُ،
وَإِنَّ الرَّجُوعَ إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ لِاسْتِيْضَاحِ مَا يَشْكَلُ مَعَ حُسْنِ ظَنِّ بِهِمْ وَكَمَالِ تَقْدِيرِ لَهُمْ، وَإِنَّ الْوُقُوفَ
صَفًّا وَاحِدًا مَعَ وَلِيِّ الْأَمْرِ الْمُسْلِمِ بِالطَّاعَةِ لَهُ فِي الْمَعْرُوفِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ لَهُ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ،
إِنَّ كُلَّ أَوْلَئِكَ مِنْ جَمِيلِ شَمَائِلِ الْمُؤْمِنِ وَكَرِيمِ خِصَالِهِ وَشَرِيفِ صِفَاتِهِ الَّتِي طَابَ غِرَاسُهَا وَأَيْنَعَتْ
ثَمَارُهَا فِي رِيَاضِ دِينٍ حَقٌّ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي يَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِهِ كَافَّةً وَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ أَبْنَائِهِ وَمَحْبَبِيهِ قَاطِبَةً
الْحَذَرُ مِنَ الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ سُورَةِ الْغَضَبِ الَّتِي تَقْضِي إِلَى التَّرْدِي فِي أَعْمَالٍ مَتَعَجِّلَةً مَتَهَوِّرَةً، أَوْ
التَّوَرُّطِ فِي سُلُوكِيَّاتٍ خَاطِئَةٍ مُحَرَّمَةٍ، كَالْقَتْلِ أَوْ التَّخْرِيْبِ أَوْ الْحَرْقِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْفَسَادِ
الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيَكُونُ سَبَبًا وَفُرْصَةً يَهْتَبِلُهَا الْمَغْرِيضُونَ لِإِلْصَاقِ مَزِيدٍ مِنَ التَّهْمِ بِالْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ، وَإِقَامَةِ الْبِرْهَانِ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا يَزْعَمُونَ مِنْ دَعَاوِي بَاطِلَةٍ، بَيْنَ عَوَازِهَا، بَاطِلٌ مَقْصِدُهَا
وَأَهْدَافُهَا.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَعَمَلُوا عَلَى الدُّودِ عَن دِينِكُمْ وَالذَّبِّ عَن قَرَانِكُمْ وَنَبِيِّكُمْ بِحِكْمَةٍ وَرَوِيَّةٍ وَعِلْمٍ
وَإِخْلَاصٍ لِلَّهِ وَمَتَابَعَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ .

وَاذْكُرُوا عَلَى الدَّوَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَرَحْمَةِ
اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِهِ الْأَرْبَعَةِ...